

## ٣٥- التَّقْصِيرُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ

## الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.  
أما بعد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> أَلَا وَإِنْ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - آدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْقِيَامَ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾<sup>(٢)</sup>.

أَلَا وَإِنْ مِنْ أَجْلِ الْأَمَانَاتِ وَأَعْظَمِهَا - يَا عَبْدَ اللَّهِ - وَلِذَلِكَ، الَّذِي هُوَ بَضْعَةٌ مِنْكَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا، وَقُوذُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، وَإِنَّمَا تَكُونُ تِلْكَ الْوَقَايَةُ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْبِيَّتِهِمْ وَحِفْظِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ مَسْئُولِيَّةَ ذَلِكَ، فِي "الصَّحِيحِينَ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يَمَجْسَانِهِ»<sup>(٣)</sup>.

فولِدُكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ تِتَاجُ جُهْدِكَ، وَبِذَلِكَ، فَإِنْ وَجَدْتَ خَيْرًا فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِنْ وَجَدْتَ

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) تقدم تحريجه.

غير ذلك، فلا تلو من إلا نفسك، فعلى نفسها جنت براقش<sup>(١)</sup>.

عباد الله.

إن مما يجزن له القلب، ويتفتت له الفؤاد أن ترى كثيراً من الناس قد أهملوا تربية أولادهم، واستهانوا بها وأضاعوها، فلا حفظوا أولادهم، ولا ربّوهم على البرّ والتقوى، بل - وللأسف الشديد - إن كثيراً من الآباء - أصلح الله أحوالهم - يكونون سبباً لشقاء أولادهم وفسادهم، قال ابن القيم رحمه الله: "وكم من أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تربيته، وإعانتة على شهواته، وهو بذلك يزعم أنه يكرمه، وقد أهانه، ويرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت على ولده حظّه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء"<sup>(٢)</sup>.

فله درّه، ما أعجب كلامه وأصدقّه!

أيها المسلمون.

إن المسلم الحقّ يهّمه ويكرّثه مسلكُ بنيه نحو ربّهم وإخوانهم، وليست وظيفته ومهمته أن يزحم المجتمع بأولاد، ترك حبلهم على غاربهم، وهذا هو هدي الأولين من المؤمنين.

فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

(١) الأمثال لأبي الخير الهاشمي (١٧٩).

(٢) تحفة المودود، بأحكام المولود (٢٤٢).

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿١﴾.

وهذا نبيُّ الله نوحٌ، يدعو ابنه ويُلحُّ عليه، فيقول: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

وهذا يعقوبُ يتعهَّد أولاده في الرَّمَقِ الأخيرِ، كما قصَّ الله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

وهذا ركَّبُ المؤمنين الصادقين المتبعين، ركَّبُ عبادِ الرحمن، يلهجون قائلين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٤).

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وسيروا على هدي أولئك المتقين ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (٥).

عباد الله.

أيها الآباء الأفاضل، إنَّ من المشكلات الكبرى، والنوازل العظمى، التي أُصيبت بها كثيرٌ من المجتمعات الإسلامية تقصير الوالدين في رعاية أولادِهِما، وتربيتهم على البرِّ

(١) سورة إبراهيم: ٤٠.

(٢) سورة هود: ٤٢.

(٣) سورة البقرة: ١٣٣.

(٤) سورة الفرقان: ٧٤.

(٥) سورة الأنعام: ٩٠.

والتقوى، ومعالم هذا التقصير كثيرةٌ عديدةٌ.

فمن مظاهر التقصير في تربية الأولاد: الانشغال عن الأولاد بمشاغل الدنيا الفانية، التي لا تعدل عند الله جناح بعوضة، فكم هم الآباء الذين هجروا بيوتهم، فلم يجلسوا فيها إلا قليلاً، لأكلٍ أو شربٍ أو نومٍ، أما سائر أوقاتهم فيبيع وشراءً، وبين جلسات ودوائر، ضاعت بسببها الواجبات، وضاعت الحقوق، ولو سمع هذا بصفقة أو تجارة لترك الأصدقاء، وقلل اللقاء، وأما علم هذا أن خير ما يتركه بعده ولدٌ صالح يدعو له.

أيها المؤمنون.

إن من صور التقصير الشائعة في تربية الأولاد: تهوين الوالدين المعصية على الأولاد، وتجريتهم على مواقع الخطايا والسيئات، وذلك بموافقة الوالدين لهذه الخطايا ومجاهرتهم بها، فإن من الآباء من يكون قد ابتلي ببعض الذنوب، فتجده لا يتورع عن الوقوع فيها أمام أولاده، فكم هم الآباء الذين ابتلوا بسماع الأغاني مثلاً، أو النظر إلى المحرمات، أو غير ذلك من السيئات، وهم يفعلونها أمام أولادهم، فيأخذها عنهم أولادهم، فكل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودّه أبوه<sup>(١)</sup>

أيها المؤمنون.

(١) ديوان أبي العلاء المعري (١٤٥٨).

إن من أعظم الخيانة للأولاد: تيسير سُبُلِ المعصية وأسبابها لهم، بالإهمال في تربيتهم على حسن استعمال الأجهزة التي يصلون من خلالها إلى كثير من الشر والفساد إذا لم يحسنوا استعمالها، كالذُّشوش وما شابهها، فإن فيها ما تفسدُ به القلوبُ، وتخرب الأخلاقُ، وتعمى البصائرُ، ويصدُّ بها عن سبيلِ الله.

فليتقِ الله هؤلاء، فإنهم -والله- ممن أشقى أولاده، وفوت عليهم الخير والاستقامة، فويلُّ له؛ وويلُّ له؛ وويلُّ له، وضع في كلِّ غرفةٍ شيطاناً، يصدُّ عن سبيلِ الله، ويبغيها عوجاً!!

فبالله أيها المؤمنون، أيُّ خيانةٍ أعظم من هذه الخيانة، أیظنُّ من سعى في إفسادِ أولاده أنه ناجٍ من قوله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبدٍ يسترعیه الله رعيةً، فيموتُ وهو غاشٌّ لها - أي: فلم يحطها بنصحها - إلا لم يجد رائحة الجنة» (١).

فليتقِ الله هؤلاء، وليذكروا يوماً يُرجعون فيه إلى الله، فيسألهم ماذا أجبتم المرسلين؟ وماذا فعلتم بقولي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٢)؟.

﴿٢٠٠﴾

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه .

(٢) سورة التحريم: ٦.



## الخطبة الثانية

وبعد ! فاتقوا الله أيها المؤمنون، فإن من الخيانة هذه الأمانة العظمى -أمانة تربية الأولاد- إضاعتهم وإهمالهم، وترك حبلهم على غاربهم، يخرجون في أي وقت يشاؤون، ويصاحبون من يريدون، ويسهرون الليل وينامون النهار!!

فهذا كله تضييع للأمانة، ولقد ظهرت في هذه الآونة الأخيرة بسبب هذا التفریط ظاهرة الجلوس في الأحواش والاستراحات، يستأجرها مجموعة من الشباب، فيجلسون فيها ساعات طوالاً، يجتمعون في غالب الأحيان على ألوان من الذنوب والمعاصي، الصغار والكبار، بعيداً عن نظر آبائهم وأولياء أمورهم، ولا يشكُّ عالم بما يجري في هذه الأحواش بأن هذه الاجتماعات مخالفة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يكن فيها إلا مخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان يكره الحديث بعد صلاة العشاء لما يُفْضِي -إليه من ضياع الأوقات، وتفويت الواجبات، ومخالفة ما فطر الله عليه البريات، من نوم الليل، والقيام في النهار، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا كله فيما لو كان السهر على أمرٍ مباح، فكيف يكون الأمر ونحن نعلم أن غالب هذه الاجتماعات يلتقي فيها حدثاء الأسنان، وسفهاء العقول والأحلام على سماع

(١) سورة النبأ: ١٠ - ١١.

(٢) سورة يونس: ٦٧.

الغناء الماجن، أو الكلام القبيح، أو يجتمعون على مشاهدة الساقط من المناظر والمرئيات، التي لا تقوم لها الجبال، تُثير الغرائز، وتبعث الكوامن، وتهيج الشهوات، وتورث القلب البلابل، فيصطي هؤلاء الأحداث بنار تلك المشاهد، ولا يجدون لها مصرفاً، إلا عادة قبيحة، أو علاقة محرمة، فيتلطّخون بكبائر الذنوب، وقبيح الفواحش، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فاتقوا أيها الشباب يوماً، تُرجعون فيه إلى الله، يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبه وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه.

واحدروا أيها الشباب هذه الاجتماعات، فهي من الشر الذي لا خير فيه، واتقوا الله أيها الآباء، فصونوا أولادكم عن مثل هذه الاجتماعات، واحفظوهم منها، فإنها من أهم أسباب فسادهم.

أيها المؤمنون! إن الله أمركم بالتعاون على البر والتقوى، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

فعلى أصحاب هذه الأحواش والاستراحات أن يتقوا الله ربهم، ولا يؤجروها على من يُظن جلوسه فيها على هذه المنكرات، فإن تأجير هذه الأحواش والاستراحات في هذه الحالة محرّم، وأخذ الأجرة على ذلك حرام.

فاتقوا الله عباد الله وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة.

﴿٥٥﴾